|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| C:\Users\admin\Documents\Logo Université Libanaise.jpg |  | C:\Documents and Settings\user\Local Settings\Temporary Internet Files\Content.Word\Logo Fac.Droit.jpg |

مؤتمر

الحوار الثقافي والحضاري

العربي- الايراني

مداخلة

آفاق العلاقات العربية – الايرانية

واقتراحات عملية لتطويرها

عميد كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية في الجامعة اللبنانية

د. كميل حبيب

1 آذار 2016

الحرب لم تعد قادرة على تحقيق أي هدف، والنزاعات ليست سوى أداة لتدمير المجتمعات، فماذا نريد، أنريد الحرب بين العرب وإيران؟ وماذا سنجني منها سوى الدمار والخراب ولن يخرج أي طرفٍ من هذه الحرب بأي مكاسب فالكلّ خاسرون. ولقد أثبتت التجارب الأخيرة أن أدوات الحرب الحديثة تجعل من المستحيل على البادئ بالحرب أو المدافع فيها أن يحقق نصراً. فماذا حققت حركة طالبان، وماذا أنجز صدام حسين، ما كان مصير العدوان الأميركي على العراق، وهل انتصرت اسرائيل في حربها على لبنان أو غزة...). هذه أمثلة بسيطة نستعرضها للدلالة على أن القوة والتفوق العسكري ليس لهما الدور الحاسم في الحروب. ولقد صدق من قال: "في الحرب لا يوجد منتصر، بل درجات متفاوتة من الهزائم". هذا لا يعني انني بصدد كتابة مطالعة انهزامية، فالانتصار على اسرائيل سوف يكون حتميّاً وصراعنا معها لا يدخل في مسلسل الحروب او النزاعات العبثية، بل هو صراع مصيري ووجودي في آن معاً.

ومع ذلك، اذا خرجنا الى العالمية لوجدنا ان العالم قد أضحى "قرية كونية" بسبب الاعتماد المتبادل بين الشعوب والأمم. فالأمم العظيمة لم تعد تقاس بحسب قدراتها العسكرية، وانما في اقامة مجتمع مستقر وآمن يحفظ كرامات الشعوب وحقها في الحرية والعدالة والمساواة. وبصريح العبارة، لم تعد الحرب الوسيلة الأنجح لتحقيق مصالح الدول المتخاصمة. فالحوار البناء، والاعتراف بمصالح الآخرين، واحترام القانون والاعراف الدولية تبدو المنطلقات لإرساء السلام العالمي.

وإذا انطلقنا من هذه الأمثلة للعلاقات الإيرانية العربية، نخلص ومن ذات المنطق، للقول بأن حرباً ضروساً بين إيران والعراق ومن خلفه معظم الدول العربية لم تخرج بنصرٍ لأيّ طرف، فالجميع خرج من هذه الحرب مهزوماً، وللأسف لم يقتنع طرفي النزاع بوقف الحرب إلا بعد تدخّلٍ أممي.

انتهت الحرب واستطاعات إيران أن تخرج من عزلتها الدولية وحققت مكانتها على الصعيد العالمي والإقليمي، وعملت على تحسين علاقتها مع العرب. جملة قضايا خلافية لا زالت تحكم العلاقة بين الطرفين، وفي طليعتها الثقة المفقودة. ولكن من وحي هذا المؤتمر لن ندخل في عرض نقاط الخلاف لسببٍ وحيد هو أن الغاية هي تبيان نقاط التلاقي لترسيخها. وأن القول الشائع بأن العتاب هو باب صفاء القلوب، قد يصحّ في العلاقات المجتمعية الضيّقة، أما في العلاقات بين الدول فالأمر مختلف إذ أن المصالح تفرض نفسها في ترتيب العلاقات. ولا يمكن القول بخطأ الدولة في علاقاتها الخارجية، لأن الخطأ هو أيضاً مفهوم متصل بالعلاقات الإنسانية، أما بين الدول فإن مصلحة الدولة تكون هي معيار الخطأ والصواب بالنسبة لها. ولا نقيّم تصرّفها على أساس قبول أو رضى الدولة الأخرى. إن مشكلتنا هي أننا لا زلنا نقيس العلاقات الدولية من زاوية الرؤية الشخصية أو من منطق العلاقة بين الأفراد. وإن هذا المقياس هو سبب التوترات المستمرة، سيما على الساحة العربية الإيرانية، والتي هي علاقة مأزومة منذ منتصف القرن الماضي.

إذا انطلقنا من هذا المنطق الجديد، قد يسهل علينا فهم العلاقة بين إيران والعرب، فإيران دولة إقليمية تمتلك عناصر القوة التي تمنحها مكانة مميزة ولها الحق كدولة في الحفاظ على مصالحها من زاوية الرؤية الاستراتيجية التي رسمتها لعلاقاتها الخارجية سواءً على المستوى الدولي أو على مستوى دول الجوار. وكذلك فإن الدول العربية مجتمعة أو متفرقة تملك كلّ منها مقومات وعناصر القوة الخاصة الإقليمية التي تتيح لها رسم علاقتها بمحيطها الجواري أو الدولي وفق مصالحها الاستراتيجية التي رسمتها وحددتها سيّما لناحية رؤية طبيعة ومستوى ومجال لعلاقة مع إيران.

إن نقطة التلاقي الأولى تكون باقتناع كل طرفٍ بضرورة رسم خط المصالح الاستراتيجية بما لا يمس بمصالح الطرف الآخر، بحيث تتحوّل علاقات الجوار إلى علاقات قائمة على الرعاية المتبادلة. والوصول إلى هذا الاقتناع ينطلق من خلال الحوار المباشر، وكما أشرنا في البداية عن طريق وضع لبنة الثقة المتبادلة بين الطرفين، من خلال تجزئة الملفات العالقة ومحاولة معالجتها منفردة. أما القول بانتظار السلة الكاملة لكافة المشاكل فهذا يعني إبقاء الأزمات إن لم نقل مضاعفتها.

ولكن السؤال وفي ظلّ وصول الأزمة إلى الدرجة الأعلى من الحدّة، كيف نبدأ الخطوة الأولى، نقول لا بدّ لأحد الطرفين من المبادرة. ونرى من واقع العملاني أن إيران حققت إنجازت ملحوظة على صعيد أكثر من ملفٍ في المنطقة، وهذه الإنجازات العالمية عليها استثمارها في علاقتها بالعرب من خلال إطلاق مبادرة ترميم الثقة ووقف أي عملٍ يراه العرب استفزازياً ومن ثمّ استثمار نجاحاتها العالمية من خلال فتح مجالات التعاون مع الدول العربية. ومجالات التعاون عديدة وبخاصةٍ في المجالات الاقتصادية والإنمائية، علماً أن الفضاء العربي ليس مقصوراً على دول المواجهة المباشرة مع إيران. وربما يبقى لبنان النافذة الاقرب لإيران لأن بمقدرو طهران ان تلعب دوراً انقاذياً لتحقيق الوفاق اللبناني على قاعدة التتوع في اطار الوحدة المجتمعية.

وإذا كانت ملفات سوريا واليمن هي أكثر تعقيداً من أن تجدّ حلاً سريعاً أو نقاط تلاقي حوله بين بعض العرب وإيران، فإن هناك ملفات أخرى ممكن تجاوزها وإيجاد التسويات حولها، أو على الأقل من الممكن تجميد الصراع عند الحدّ الذي وصله دون الدفع باتجاه المزيد من التأزيم.

هو إذٍ علاج سياسي قائم على المصالح السياسية ما ندفع نحوه، أما الحوار الثقافي فهو مرتبط بالشأن السياسي أولاً وأخيراً، إذ لا يمكن الشروع في الحوار الديني إذ أن مثل هذا الحوار إنما يتمّ بين النخب القادرة على فهم الدين؛ أما أن يكون حواراً متلفزاً أمام العامة  فإنه حتماً سيشعل لمنطقة وهذا ما نلمسه من خلال تأجيج الخطاب الديني للحركات المسلحة ورفع مستوى الكراهية والحقد والكفر بالآخر.

أما تبادل الثقافات اللادينية من خلال الأنشطة المشتركة وتفعيل الحركة السياحية وتعزيز التجارة، فهي أمور تسهم في تخفيف حدّة الأزمات ولكنها لا تملك إطفائها، علماً أن الشروع بهذه الأنشطة معلّق على قرارٍ وموافقة السلطات السياسية، ولهذا كان المدخل الوحيد هو الحوار السياسي على أساس المصالح.

وإن كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية في الجامعة اللبنانية بصفتها أحد منظمي هذا المؤتمر، تأمل أن يكون لهذا المؤتمر دور المبادر الفعلي في تحريك الركود الصلب في العلاقات العربية الإيرانية والدفع به نحو السكة الصحيحة، لأن استمرار الواقع على ما هو عليه قد يتحّول إلى صراعٍ اقليمي مدّمر ينهي الجميع دون أن يخرج أي طرفٍ منه رابحاً.